

اليهودية وما بعد الحداثة نظرة في رؤية عبد الوهاب المسيري دراسة تحليلية نقدية

Judaism and Postmodernism Look at Abdulwahab Misseri's Vision Critical Analytical Study

¹ عبد الرحيم سماحي

¹ مؤسسة الانتماء (جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية)، abderrahim.smahi10@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/01/20

تاريخ القبول: 2026/01/16

تاريخ الاستلام: 2024/09/04

ملخص:

يعتبر عبد الوهاب المسيري من أهم العقول العربية المعاصرة التي قامت بدراسة الديانة اليهودية والتي ختمها بمؤلف غني عن التعريف تمثل في موسوعة ضخمة جمعت ما استطاع جمعه واستيعابه وتحليله لأكثر من عشرين سنة، كما عرف المسيري بكتاباته ومحاضراته في الفكر الغربي وتقويضه لفلسفاته المادية والحلولية واهتمامه الخاص بظاهرة التحديث وما بعد الحداثة، وفي دراسة خاصة له خصص المسيري مقالا من ثلاثين صفحة لتفسير تداخل إحدى أكثر ظاهرتين فكريتين أولاهما اهتماماً في مسيرته، وكان عنوان مقاله "اليهودية وما بعد الحداثة: رؤية معرفية"، ولأن حركة ما بعد الحداثة من أكثر الحركات المعاصرة المؤثرة في الحركات الدينية الحداثية والإصلاحية خاصة بين أتباع الديانات السماوية، اهتمت بهذه الدراسة على أمل معرفة: العلاقة بين الفكر الديني اليهودي و الفكر الما بعد حداثي حسب رؤية المسيري، وهل هذه العلاقة حصرية وخاصة بالديانة اليهودية دون غيرها أم يمكن قياسها أيضا على المسيحية والإسلام، وهل ساهمت هذه العلاقة بين رواد الأديان السماوية عموما واليهودية خصوصا في تأثر المجددين والإصلاحيين بالفكر الحداثي والاستناد عليه في محاولة بناء خطاب ديني الحديث؟ .

كلمات مفتاحية: عبد الوهاب المسيري، الديانة اليهودية، ما بعد الحداثة .

Abstract:

Abd al-Wahab al-Misseri is one of the most important contemporary Arab minds to study the Jewish religion, which he stamped with a rich

author of the definition represented in a huge encyclopedia that collected, absorbed and analyzed for more than 20 years Al-Misseri was also known for his writings and lectures in Western thought, his undermining of his material and analytical philosophies and his special interest in the phenomenon of modernization and post-modernization, In a special study, Misseri devoted a thirty-page article to the interplay of one of the two most interested intellectual phenomena of his career, the title of which was "Judaism and the Post-Modernism: As one of the most influential contemporary movements in modernist and reformist religious movements, especially among followers of divine religions, the post-modernist movement took an interest in this study in the hope of knowing: The relationship between Jewish religious thought and postmodern thought according to the vision of the Misseri, is this relationship exclusive and especially exclusive to the Jewish religion or can it also be measured on Christianity and Islam, and has this relationship between the pioneers of the divine religions in general and Judaism in particular contributed to the influence of the regenerators and reformers of modern thought and its reliance in trying to build modern religious discourse?

Keywords: Abdulwahab al-Misseri, Jewish religion, postmodernism.

(1) المؤلف المرسل: عبد الرحيم سماحي ، abderrahim.smahi10@gmail.com

1. مقدمة:

يعتبر عبد الوهاب المسيري من أهم العقول العربية المعاصرة التي قامت بدراسة الديانة اليهودية والتي ختمها بمؤلف غني عن التعريف تمثل في موسوعة ضخمة جمعت ما استطاع جمعه واستيعابه وتحليله لأكثر من عشرين سنة، كما عرف المسيري بكتاباته ومحاضراته في الفكر الغربي وتقويضه لفلسفاته المادية والحلولية واهتمامه الخاص بظاهرة التحديث وما بعد الحداثة، وفي دراسة خاصة له خصص المسيري مقالا من ثلاثين صفحة لتفسير تداخل إحدى أكثر ظاهرتين فكريتين أولاهما اهتماماً في مسيرته، وكان عنوان مقاله "اليهودية وما بعد الحداثة: رؤية معرفية"، ولأنّ حركة ما بعد الحداثة من أكثر الحركات المعاصرة المؤثرة في

الحركات الدينية الحداثية والإصلاحية خاصة بين أتباع الديانات السماوية، اهتمت بهذه الدراسة على أمل معرفة: العلاقة بين الفكر الديني اليهودي و الفكر الما بعد حداثي حسب رؤية المسيري، وهل هذه العلاقة حصرية وخاصة بالديانة اليهودية دون غيرها أم يمكن قياسها أيضاً على المسيحية والإسلام، وهل ساهمت هذه العلاقة بين رواد الأديان السماوية عموماً واليهودية خصوصاً في تأثر المجددين والإصلاحيين بالفكر الحداثي والاستناد عليه في محاولة بناء خطاب ديني الحديث؟

2. مفهوم اليهودية عند عبد الوهاب المسيري:

كان تفكيك مفهوم اليهودية من أهم ما ناقشه عبد الوهاب المسيري ووقف عنده مطولاً في موسوعته، و تبين موقفه في هذه القضية ضروري ليس فقط لجوهريته في البحث بل في الاختلاف الكبير في مسألة من هو اليهودي؟ ما معنى أن تكون يهودياً؟ والإجابة يجب أن تحدد ذلك الجوهر اليهودي الخالص الذي يعرف به ولا يتغير بتغير المكان والزمان، وهو يعبر عنه في كثير من النماذج التفسيرية أو هو يتمظهر فيها بأسماء عدة، مثل: التاريخ اليهودي والشخصية اليهودية و العرق اليهودي والشعب اليهودي... إلخ، هذه من المسائل التي أثارت نزاعاً كبيراً خاصة في "المجتمع اليهودي"، وخاصة في الأوساط الصهيونية وأحدث شراً واضحاً في دولة الاحتلال، وقد خصص عبد الوهاب المسيري مؤلفاً كاملاً لهذه القضية (عبد الوهاب المسيري).

يرى المسيري أنّ مصطلح "هوية يهودية" يعني أن ثمة جوهرًا يهوديًا ثابتًا يسم أعضاء الجماعات اليهودية أينما كانوا، ويفرقهم عن سواهم من البشر، وغني عن القول إن هذا المصطلح مثل مصطلح «الشخصية اليهودية»، يُعبر عن نموذج اختزالي لا يتفق كثيراً مع الحقيقة التاريخية المتعينة ولذلك فمقدرته التفسيرية ضعيفة للغاية، الشخصية (أو الهوية) هي بنية مركبة، نتاج تفاعل بين مجموعة من البشر ومُركَّب من الظروف التاريخية والبيئية الثابتة على مدى زمني معقول، وهو الأمر الذي لم يتوفر إلا للعبرانيين، ولم يتوفر للجماعات اليهودية التي انتشرت في بقاع الأرض المختلفة وعاشت تحت ظروف اجتماعية مختلفة، ولذلك يجب الابتعاد عن التعميم المتعسف والكف عن استخدام صيغة «الشخصية اليهودية» و لتحدث بدلاً من ذلك عن «الشخصيات اليهودية» و «الهويات اليهودية»، وصيغة الجمع لا تنكر الخصوصيات

اليهودية، ولكنها لا تجمع بينها وكأن هناك صفة جوهرية أو عالمية كامنة في كل اليهود، ومن هنا، يمكننا أن نتحدث عن الشخصية (أو الهوية) اليمينية اليهودية في أواخر القرن التاسع عشر، أو الشخصية الحزبية اليهودية في القرن التاسع، أو الشخصية الإشكنازية في إسرائيل، أو الشخصية السفاردية من أصل سوري في أمريكا اللاتينية، ويمكن دراسة تطوّر هذه الشخصيات اليهودية المتنوعة والمختلفة بدراسة سماتها المستمدة من أزمنة وأمكنة مختلفة و علم الاجتماع الإسرائيلي قد تقبّل، كحقيقة شبه نهائية، انقسام أعضاء التجمّع الصهيوني إلى جماعات يهودية لكلّ شخصيتها المستقلة التي تكونت عبر مئات السنين في المنفى، أي في أنحاء العالم (عبد الوهاب المسيري، 1999).

تحددت الهويات اليهودية المختلفة في غياب سلطة يهودية مركزية، دينية أو دنيوية، عبر الاحتكاك مع عشرات التشكيلات الحضارية ومن خلالها، الأمر الذي نجم عنه تنوّع هائل في الهويات اليهودية، وتتسم هذه الهويات باستقلال نسبي عن سياقها الحضاري، شأنها شأن هويات الجماعات الإثنية والدينية، ولكنها في الوقت نفسه لا تنتمي إلى هوية يهودية واحدة عالمية، ومع هذا، فقد استمر الجميع (اليهود وغير اليهود) في الحديث عن اليهود كما لو كانوا كلاً واحداً.

ولذلك يقرر المسيري استخدام مصطلح "أعضاء الجماعات اليهودية" ليشير لليهود وهو مصطلح يعبر أكثر حسبه عن النموذج التريكيبي والتراكمي للجماعات اليهودية المختلفة في جوهرها، وفي حين أن النماذج الأخرى اختزالية، يسعى المسيري ليؤكد استقلالهم النسبي عن محيطهم دون أن ينسبهم إلى تاريخ يهودي عالمي أو جوهر ثابت، بل ينسبهم إلى مجتمعاتهم وحسب، ومن هنا نحاول فهم هذه الهويات لا من خلال العودة إلى ما يُسمّى «التاريخ اليهودي»، أو العودة إلى كتب اليهود المقدّسة، وإنما بالعودة إلى التشكيلات الحضارية والتاريخية المختلفة التي ينتمي إليها أعضاء الجماعات اليهودية والتي تفاعلوا معها وأثروا فيها وتأثروا بها، و لا يُهمل البُعد الديني في بناء هذه الهويات، فالدين اليهودي (بخصايته الجيولوجية التراكمية) عنصر أساسي فيها، كما أن الرؤية الدينية بُعد حيوي ومهم، وكل ما نفعله أننا لا نجرده وإنما نراه في تفاعله مع الأبعاد الحضارية الأخرى، كما أننا لا نرى أن له مركزية تفسيرية، ولذا، فنحن لا

نتحدث عن «هوية يهودية» عامة مُطلّقة، ولا نتحدث عن غياب أية هوية يهودية، وإنما نتحدث عن هويات يهودية مُتَعَيّنة متنوعة (عبد الوهاب المسيري، 1999).

إذاً يمكن أن نفهم من كل هذا أن مصطلح اليهودية يحمل مراكز كثيرة ولذلك يمكن استخدامه بمرونة شديدة، فهو مفهوم غير متماسك وليس له أسس واضحة، بل هو مزيج من التراكيبات والتشكيلات المختلفة، هي التي يسميها المسيري بالطبقات الجيولوجية المتراكمة، وعليه من الصعب استعابه، تعريفه أو توظيفه ككل، بل يجب تفكيكه، فاليهودية ليست عقيدة بل عقائد، وليست تاريخاً بل تواريحاً، وليست شعباً بل شعوباً... إلخ، كل هذه العناصر الأصغر المكونة للكل لا تتفق بالضرورة بل قد تتناقض وتتصادم، ولا تعتمد إحداها بالضرورة لذلك وجب دراستها كل على حده.

3. مفهوم ما بعد الحداثة عند عبد الوهاب المسيري:

هناك اختلاف كبير في استخدام هذا المصطلح ومعناه في الأوساط العلمية وذلك أن المصطلح في الأساس حين وضع لم يصف فلسفةً مجردة، فحين صكّه ليوتار كان يحاول أن يصف الحال الأوروبي آن ذاك الذي كان يشهد حركات كثيرة في العلوم والأدب والفنون، حركات راديكالية الفكر ناتجة على ماورثته من كثير من مسلمات الحداثة، وسمّاه بالوضع المابعد الحداثي، ثم كثر استخدام هذا المصطلح، و حاول كثيرون البحث في الأسس المشتركة لهذه الثورات الفكرية إن صحت تسميتها، وعلى الاختلاف في تحديد الجوهر الواحد بينها أختلف في تحديد مفهوم ما بعد الحداثة، فنظر إليه البعض أنّه امتداد للحداثة ورأى آخرون أنه مُصادم لها، وعلى كلٍ مايهما في هذا المقام هو مفهوم عبد الوهاب المسيري لها.

نموذج الما بعد:

يقول المسيري أن من أهم النماذج التي ظهرت نموذج «الما بعد» (post بالإنجليزية)، وهو نموذج يشير إلى ما بعد ظاهرة ما دون أن يحدد شكل هذا الما بعد ولا اتجاهه، فهناك على سبيل المثال حديث عن «ما بعد الأيديولوجيا»، و «المجتمع ما بعد الصناعي»، و «ما بعد الرأسمالي»، و «ما بعد الميتافيزيقا»، و «ما بعد الصهيونية»، وبطبيعة الحال «ما بعد الحداثة»، ونموذج الما بعد يؤكد أن النموذج السائد قبلاً (الرأسمالية . الحداثة.. إلخ) لم تعد له فعالية ولم يعد قادراً على تفسير الواقع الذي يشار إليه بأنه «رأسمالي» أو «حداثي»، ولكن رغم أن القديم قد أخذ يموت إلا أن الجديد لم تتضح معالمه تماماً. ونظراً لعجز الإنسان الغربي عن تسميته الظاهرة الجديدة فإنه يكتفي بالإشارة إليها من خلال كلمة «ما بعد»، وفي تصوّرنا أن كلمة «ما بعد» تعني «نهاية»، ولكن لعل الإنسان الغربي قد وجد كلمة «نهاية» راديكالية وجذرية وتبلور الأمور أكثر مما ينبغي، ولذا اكتفى بكلمة «ما بعد» (عبد الوهاب المسيري، 1999، صفحة 306) (رزمة حمريط، 2015، صفحة 16)

إذا فما بعد الحداثة هو تصور رافض للحداثة في مبادئها، والما بعدية تشير إلى التقويض والتفكيك والرفض لما قبل (طاهر ابراهيمي، 2019، صفحة 15)، ويخوض المسيري أكثر في جوهر هذا الرفض، فيذكر أن ما قبل عصر النهضة كانت أوروبا تستند أنطولوجياً على المنظومة الأفلاطونية التي استندت في المعنى والوجود والحقيقة على عالم متجاوز هو الأصل لظلال العالم المحسوس عند الإنسان، وأن العقل واللغة والحس كلها ماهي إلا أدوات للوصول لذلك المعنى الكلي المتجاوز ذي الغرض، لكن في عصر الحداثة خاصة مع تقديم العقل الأرسطي والتجريبي تفسيرات عديدة للكون وبداية تطورات عديدة ملموسة في حياة الإنسان، أعطيت مساحة أكبر للعقل والحس، وانطلق المشروع العقلاني المادي من أنّ العالم يحوي داخله ما يكفي لتفسيره، وأن العقل والمادة دون حاجة لمتجاوزات قادر على الوصول لتفسير عقلاني كلي وشامل لهذا العالم، وهذا التصور الصلب لم يقدر أن يبقى متماسكا لا على المستوى النظري ولا حتى على الواقع بسبب الكوارث التي انتهت إليها الحركات الحداثيّة (فترة الاستعمار، الإمبريالية، الاستعباد، الماركسية،

الفاشية، النازية، الحرب العالمية، الحرب الباردة... إلخ)، فجاءت ما بعد الحداثة كردة فعل لهذا الفشل، لتنفّي الصلابة تماما والثوابت والكليات من أي نوع واعتبارها من مظاهر الخرافات والميتافيزيقا، وترتكز ما بعد الحداثة على السيولة والسيورة وكل ما يعارض هذه الفكرة الأساسية يرفض، كفكرة الحقيقة الموضوعية والمعنى والغاية والقصد وثبات الدال والمدلول وقدرة اللغة على إيصال المعنى، وكل تلك السرديات التي تحمل شيئاً من الكليّة أو الصلابة، أو تثبت المنظومة الأفلاطونية المتجاوزة، وهكذا ينشأ العالم المابعد حدثي من الذاتية المطلقة بلا أسباب وتبريرات ولا أهداف، عالم هلامي سائل لا مركز له ولا أسس (عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، صفحة 81) (حبّية بن زين ، 2021).

4. تأثير وتأثر اليهود في البناء المابعد حدثي:

أشار عبد الوهاب المسيري (عبد الوهاب المسيري، 1997) إلى بعض الأسماء البارزة في الحقل المابعد حدثي مثل جاك دريدا، إدموند جاييس هارولد بروم وغيرهم بأنهم يهود، وهذا قد يوحي بأنّ هناك علاقة بين اليهود و بين الفكر المابعد حدثي جعلتهم ينجذبون إليه، وكأنّ هناك تكامل وتوافق بين الفكرين، وهذا بالفعل ما يقوله بعض الكتّاب اليهود المعاصرون أنفسهم، لكن وجود بعض اليهود بين المؤسسين ليس دليلاً على شيء، فالفكر المابعد حدثي تأسيساً و تأليفاً ونشراً لم يكن رواده يهوداً فقط، ولم يقتصر اليهود على الظهور في هذا الفكر دون غيره من التيارات والفلسفات الغربية، كما أنّ هؤلاء اليهود في الغالب ليسوا يهوداً بالمعنى التقليدي وكثير منهم ليس له أي صلة بالتراث اليهودي كما نعرفه، إلا أنّه يمكن أن يكون التراث اليهودي والفكر الديني اليهودي الإصلاحي خاصة بأوروبا له دور كبير ومهم في بروز الفكر المابعد حدثي المعاصر، خاصة وأن أهم المجالات التي ظهرت مابعد الحداثة من خلالها هي اللغوية و الأدبية، تلك التي تعنى بدراسة بنية النص وتحديد مفهومه ومحاولة تفسيره، ولطالما كانت الدراسات الدينية هي المحرك لهذا المجال.

ومجدد الإشارة هنا إلى أن المقصود بالتأثير اليهودي على مابعد الحداثة محصور في الفترة المعاصرة، لأنّ جوهر الفكر المابعد حدثي ليس جديداً، فمقولات السيولة والامركزية ونفي الحقيقة الموضوعية وغيرها من القطع الأساسية التي تشكل الفكر المابعد حدثي هي أفكار قديمة، وقد تكون قديمة قدم الفكر نفسه، بل

في الغالب هذا الفكر القديم هو الذي أثر في اليهودية، فمن زاوية أخرى يمكن أن يحمل جزء من الفكر الديني اليهودي _ في تاريخه _ المتمثل في نصوص أو طقوس أو عقائد بعضاً من هذه المقولات، وربما نفذت إليه في مرحلة ما كي تكون قطعاً أساسية في تجسيد الفكر الديني، على الأقل عند بعض اليهود، ثم جاءت مرحلة الإصلاح و تفكيك التراث التي استوعبت وجود تلك القطع وأقدميتها ووظيفتها العميقة في التراث اليهودي، فكان ذلك سبباً لميل بعض اليهود للفكر المابعدحدثي لما وجدوا فيه من "هوية يهودية" إن صحّ القول، وكأثم لم يروا مابعد الحداثة إلا لوناً من ألوان اليهودية، أو لربما وجدوا فيها حلاً إصلاحياً جامعاً بين التقليد و التحديث، وقد جمع عبد الوهاب المسيري مجموعة من النقاط توضح الأسس المابعدحدثية في التراث اليهودي، سنتنصر على بعض الأمثلة فقط لتجنب الإطالة (عبد الوهاب المسيري، 1997).

المظاهر المابعد حدثية في التراث اليهودي (عبد الوهاب المسيري، 1997):

1.4 إشكالية العقيدة اليهودية:

كانت العقيدة اليهودية من بين الإشكالات الأساسية التي تسيل حبراً على مستوى الدراسات الدينية، فالطبيعة الهيولية تتجلى فيها أين لا يمكنك أن تجد خطوطاً واضحة تعبر عن هذه العقيدة، فهي مزيج من العقائد الغير متجانسة والمتناقضة، حتى أنه يمكن الحديث عن اليهودي الملحد داخل إطار العقيدة اليهودية، وهذا سبب آخر جعل المسيري يصف اليهودية بالتركيب الجيولوجي التراكمي، بل قد تجتمع هذه التراكمات في نفس الزمان والمكان كما عكس مجلس السنهدين إبان عصر المسيح، إذ كان يسيطر على السلطة اليهودية فريقان: الصدوقيون والفريسيون، وكان بين هذين الفريقين من الخلافات ما يستحيل جمعه، وبالرغم من ذلك تعايشا وتقاسما السلطة الدينية، فكان من الممكن داخل اليهودية أن يشير دال إلى مدلولين متناقضين (إسرائيل شاحاك، صفحة 65).

2.4 الشريعة الشفوية والشريعة المكتوبة:

ينقسم الكتاب المقدس إلى التوراة الذي يمثل الشريعة المكتوبة ولواحقها، والتلمود والذي يمثل الشريعة الشفوية ولواحقها من تفسيرات الحاخامات وتوضيحاتهم، يؤمن اليهود أن كلا الشريعتين أعطيت لموسى إلا أنّ الأولى توارثها اليهود مكتوبة والثانية توارثها الحاخامات خاصة شفاهة إلى أن جُمعت ودونت،

وبالرغم من أنّ الظاهر قد يوحي بتفاوت الشريعتين في المنزلة إلا أنّ النصوص الحاخامية تؤكد تساويهما في الأهمية والمكانة، بل أنّ الشريعة الشفوية أهم من الشريعة المكتوبة وأمثل، وقد تجد نصوصاً تذكر بأنّ عقاب من يخالف الشريعة الشفوية أشدّ وأن من يخالف الشريعة المكتوبة يمكن أن يغفر له، بل إن المخالفة مطلوبة في حال تناقضت الشريعة المكتوبة في الظاهر مع الشريعة الشفوية، أي تصبح الأخيرة ناسخة ومحكمة على الاصطلاح الإسلامي، وهذا تمظهر آخر للفكر لما بعد حدثي أين يصبح الثابت هو المتغير المتجدد، واللامعيارية هي المعيارية، و أنّ الدال الصلب والثابت الذي يأتي من عند الإله المطلق (التوراة الشفوية) يتم إسلته ويصبح تابعاً للتفسير البشري المتغير (أحمد شلبي، صفحة 265).

ويرى الأديب الفرنسي اليهودي المنتمي إلى ما بعد الحداثة إدموند جاييس أن أهم نقطة في اليهودية هي اللحظة التي حطم فيها موسى الألواح (الوصايا العشر) بسبب غضبه من عبادة الشعب للعجل الذهبي. ويرى جاييس أن الشريعة الشفوية نشأت في الشقوق التي نجمت عن تحطيم الوصايا العشر كالأعشاب والطحالب التي تقتل النباتات الزروعة التي تأتي بالثمر.

3.4 الفكر القبالي:

يمكن أن نجد عدة تشابهات بين كثير من آراء الفكر الباطني اليهودي و الفكر المابعد حدثي، خاصة فيما يتعلق بفكرة وحدة الوجود والعالم الواحد واتحاد الإله بالعالم كلها معتقدات شائعة في الفكر الباطني وهي تكسر ثنائية المقدس والمدنس المطلق والمتغير والمادي والمتجاوز وتقوم بإذابتها في عالم واحد سائل ومتغير، أيضا في تعامل الفرق الباطنية مع النصوص و إعطاء الحروف و الرموز خصائص كونية أخرى، زد اعتبار بعضهم التفسير الباطني أولى وأكثر دلالة وإحكاما من الظاهر، كل ذلك أسس فكرة غير تلك التقليدية عن كيفية فهم اللغة أو النص، و كثيرا ما نلاحظ في هذه التفسيرات الباطنية عدم وجود علاقة سببية بين الدال والمدلول بين الرمز والمعنى أو بين الآية والتفسير المعطى لها، وهذا ما يظهر أيضا في التفكيكية وما يعرف أيضا بتراقص الدوال (سنوسي فضيلة، صفحة 95).

4.4 زيادة الخاصية الجيولوجية اليهودية:

وتزيد معها اللامعيارية في العصر الحديث بظهور مذاهب جديدة مثل الإصلاحية والمحافظه، والجماعات اليهودية في الحضارة الغربية كانت أكثر استعدادا لتبني فكر مابعد الحداثة وإسهامهم فيه وذلك يعود لعدة عناصر نذكر بعضاً منها:

- النفي والذي هو تجربة اقتلاع ثم إحلال، فاليهود اقتلعوا من وطنهم وتم استبدالهم بشعب آخر، وعاشوا في بلاد غريبة، و يتميز وجود اليهود بالحالة الصيرورية واللامعيارية، حيث يعيشون كأهم مواطنون في بلاد غيرهم وفي الوقت نفسه يبقون غرباء، يُمكن وصف اليهود بأنهم حاضرون وغائبون في آن واحد، وهم متجولون دائمون يحملون بالعودة إلى أرض الميعاد ولكنهم لا يعودون فعلياً. حياتهم تكون في منفى دائم وخارج الإطار المعياري، حيث تكون معاني وجودهم متعددة ومفرطة.
- نجد أيضا أن اليهود في العالم المسيحي الذي يعيشون فيه يعرفون ب"قتلة المسيح" فهم شعب منبوذ، وفي الوقت نفسه، يحتاجون إلى الحماية لأنهم يشهدون على عظمة الكنيسة، كما أنهم يعيشون في مجتمع مسيحي ويستفيدون من حمايته، لكنهم يرفضون تفسير المسيحيين للتجسد وينتظرون ماشيح خاص بهم، هذه التناقضات تبرز التعقيد الذي يحيط بالهوية اليهودية وتفاعلها مع المجتمعات المحيطة بها.
- يشار إلى اليهودي على أنه صاحب هوية واضحة، ولكنه في واقع الأمر مفتقد تماما للهوية، فهو يزداد اندماجا في الحضارة الغربية على الرغم من كل محاولات الإفلات من قبضتها، ومن المفارقات أن إسرائيل قامت للدفاع عن الهوية اليهودية ولكنها صارت هي الآلية الكبرى لطمس معالم هذه الهوية، ومن ثم فإن العودة التي كان المفترض فيها أن تكون نقطة التحقق والحضور الكامل، أصبحت هي لحظة الغياب الكامل، وهو ما يعني اختلاط المدلولات وتعددتها.

• وما زاد من زعزعة ما يسمّى بـ"الهوية اليهودية" تزايد تعريفات اليهودي، فهو يمكن أن يكون إصلاحياً أو محافظاً أو تجديدياً، وتجدد اليهودي الملحد، واليهودي غير اليهودي، واليهودي المتهود، واليهودي بالاختبار، وقد عُرف اليهودي بأنه "من يصفه الناس بأنه كذلك"، وهو في تعريف آخر "من يشعر في قرارة نفسه بأنه كذلك." ولعل سؤال: "من هو اليهودي؟" المطروح بحدة في الدولة اليهودية، هو تعبير عن هذا الفصل الحاد بين الدال والمدلول واستحالة التعريف بسبب سقوط الدال في قبضة الصيرورة (عبد الوهاب المسيري، 1997).

بعض مصطلحات ما بعد الحداثة وعلاقتها باليهود واليهودية (عبد الوهاب المسيري، 1997):

1) الدال والمدلول المتجاوزان:

الدال والمدلول مصطلحين في علم الدلالة واللغة، ويستخدمان لوصف العلاقة بين الكلمات (الدال) والمعاني التي ترمز إليها (المدلول). وفقاً لسوسير، يعتبر الدال هو الصوت أو الحرف المكتوب، بينما المدلول هو الصورة الفنية أو الفكرة عن الشيء. وبذلك، فإن الكلمة تعتبر إشارة أو رمز، وليست إسماً لمسمى بل هي مركب يربط بين الدال والمدلول، ويهتم علم الدلالة بدراسة العلاقة بين الدال والمدلول (منقول عبد الجليل، 2001، صفحة 61).

و حسب المسيري يعتبر الدليل اللساني على وجهي العملية الدلالية "المدلول المتجاوز" هو الركيزة الأساسية لكل الدوال، ويقف خارج حلبة الدوال، فهو "غير ملوث" بهذه اللعبة، وهو ليس جزءاً من اللغة التي تحاول أن توقف لعب الدوال وانزلاقيتها وانفصالها عن المدلولات، وقد بين نيتشه الميتافيزيقا الكامنة في فكرة المركز والكل والمعنى المتجاوز للصيرورة، وبيّن أنه على الرغم من إعلان موت الإله فإن ظلاله لا تزال جاثمة، تتبدى في مثل هذه الأفكار، ولذا فقد نادى هذا الفيلسوف بمحو ظلال الإله من خلال هذه الأفكار وتقويضها عن طريق ضرب الدال المتجاوز (المركز أو الكل) بحيث لا يبقى سوى لعب الدال بلا مركز ولا كليات ولا معنى، وقد حاول الحاخامات إنجاز شيء من هذا القبيل في اليهودية، فالحاخام المفسر هو جزء من صيرورة التاريخ والزمان، ولكن تفسيراته التي لم تفلت من قبضة الصيرورة مساوية لكلمات

الإله (المدلول المتجاوز) ثم تتجاوز كلمات الحاخامات النسبية المبعثرة كلمة الإله الثابتة وتصبح بديلاً لها، وبذلك يسقط كل شيء في قبضة الصيرورة ويصبح العالم بلا مدلول متجاوز، وتتساوى كل الأمور وتصبح نسبية لا قرار لها ولا معنى.

(2) التمرکز حول اللوجوس:

مصطلح اللوجوس من المصطلحات الفلسفية والدينية، ويستخدم في الفكر الغربي واليوناني القديم للدلالة على الكلمة أو العقل أو القانون، ويعتبر اللوجوس في الفلسفة اليونانية القديمة هو العقل الإلهي الذي يحكم الكون وينظمه، ويعتبر أحد أهم المفاهيم في الفلسفة الغربية. وفي الديانة المسيحية، يعتبر اللوجوس هو الكلمة الإلهية التي تجسدت في شخص المسيح، وعلى كل حال فالفكرة الأساسية للوجوس لطالما وجدت في كل فكر إذا ما اعتبرنا أن جوهر اللوجوس هو عبارة عن أرضية متجاوزة يتركز عليها الإنسان في إعطاء أهلية لعقله، قيمة لذاته، غاية لوجوده، ومعناً لأخلاقه (أميرة فاروق فؤاد عامر، 2017، الصفحات 225-242) (ياسين حسين الويسي).

و حسب المسيري يرى أنصار ما بعد الحداثة أن فكرة اللوجوس الميتافيزيقية الأفلاطونية قد تغلغلت في كل ظلال الفكر الإنساني الذي يستمد أفكاره بوعي أو غير وعي من هذه الفكرة، ومن ثم يهاجم أنصار ما بعد الحداثة التمرکز حول اللوجوس، فيطرح دريدا مفهوم "الاختراجلاف"، والتناص والكتابة الأصلية، والأثر والهوة، ورقص الدوال، والتمرکز حول المنطوق، والنص المفتوح، وذلك كله محاولة لمهاجمة فكرة الأصل الثابت ليسقط كل شيء في الصيرورة وتسود الانزلاقية.

و في التراث اليهودي، يظهر "اللوجوس" كمفهوم مركزي يعبر عن حالة مستحيلة في الماضي السحيق، كان يهوه (Yehwah) يحل في الشعب اليهودي ويقوده خلال رحلتهم في البادية، وكان هذا مصحوباً بعلاقة حوارية مباشرة بينهم. وفي نهاية التاريخ، يظهر التمرکز حول "اللوجوس" في اللحظة المشيخانية، حيث يجمع الإله شعبه المبعثر ويحل فيه مرة أخرى، مما يؤدي إلى سيادته على العالم. ولكن فيما بين هاتين اللحظتين، وهو التاريخ بأسره، يكون الإله غائباً، و"اللوجوس" غير موجود. هذا الغياب يجعل من التمرکز

حول ، على عكس ما يعتقد المسيحيون، حالة من التبعر والتشتت والصورورة العبثية. وهذا هو المجال البحثي الذي يشغل أنصار ما بعد الحداثة، حيث يتساءلون عن دور الدين والإلهية في عالم معاصر تبدو فيه الإجابات مفقودة والتناقضات واضحة.

(3) السرديات الصغرى والكبرى:

السرديات الكبرى Metanarratives يشار بها للنظريات التي تحاول تقديم فلسفة كلية أو تفسيرات شاملة لمختلف التجارب والمعرفة والمعاني التاريخية، وهي تشمل السرديات الصغرى داخل هيكلها وفق نسق معين، والسرديات الكبرى هي مانجده في الأديان والفلسفات التقليدية كلّها، ويقابل هذا المصطلح السرديات الصغرى Micronarratives وهي الفروع الصغيرة والقصص الجزئية المتفرقة التي تشكل حياة الفرد، وهذا الجزء هو الذي تدعو مابعدالحداثة التركيز عليه وعدم محاولة الربط بين السرديات الصغرى في نسق معين واحد لإعطاء تفسيرات أو نظريات كلية تجمعها بل أخذها كما هي واعتبارها مكتفية بذاتها فهي لا تحتاج إلى تجاوزها والبحث عن تفسير لماهيتها أو غاية كبرى لوجودها في نموذج أكبر وخارج عنها (طاهر براهيم، 2020، الصفحات 13-25).

ودعاة ما بعد الحداثة يعادون القصص الكبرى (النظريات الكبرى والرؤية الكلية والنماذج العامة)، ويرون أنه منذ عصر النهضة والتنوير، تحاول المنظومة المعرفية الغربية الحديثة التوصل إلى نظرية (قصة عظمى) تضم كل النظريات (القصص) الصغرى وتتجاوزها. ووصفهم هذا وصف للفلسفات المادية التي تطرح رؤية مادية للكون ترتكز إلى مطلق كامن في المادة (العقل أو الروح المطلقة أو البروليتاري) وتفسر كل شيء بدون ثغرات وبدون أية مسافة بين الكل والجزء -وهو وصف جيد لفلسفة التاريخ المادية بكل حتمياتها وادعائها تفسير كل شيء- وترد كل الأبنية الفوقية إلى بناء تحتي أسوأه في نهاية التحليل عنصر مادي واحد، مما يسقطها في الواحدية السببية.

أما القصة الصغرى، فهي مرتبطة ارتباطاً تاماً بسياقها، فتفترض المطلق الخاص الذي يذكرنا بالحلويات الكمونية الوثنية والوثنيات القديمة، التي لم تكن تؤمن برؤية عالمية ولا أخلاق عالمية ولا إنسانية مشتركة، والتي تذكرنا كذلك بالقوميات العضوية، وبالحركة النازية والصهيونية وجوش إيمونيم؛ فهي كلها تدور في

إطار قصص صغرى يؤمن بها أصحابها ويستمدون قداستهم منها، ويستبعدون الآخر بالضرورة، إذ لا توجد قصة إنسانية عظمت تضم الجميع ويمكن الاتكال إليها. ومن ثم يمكن القول: إن القصة الصغرى قصة علمانية تماماً، فهي تنكر أي ثبات، أو أية كليات وراء التجربة الحسية المباشرة أو تقف وراء الصيرورة، والقصة الصغرى هي قصة الشعب المختار الذي يؤمن بأن الإله غير مفارق له، يسكن في وسطه ويتحد به، وهم يعاملونه معاملة الند لنده، فيدخلون معه في علاقة حوارية، ويعصون أوامره ببساطة شديدة، وفي نهاية الأمر يتحدث الحاخامات بدلا عنه، ولكنهم لا يأتون بقصة كبرى، وإنما بقصص حاخامية متعددة مختلفة، إلى أن نصل إلى اليهودية المحافظة التي تعلي الذات اليهودية وتجعلها في المركز الحقيقي للمنظومة اليهودية، ثم تجعلها مصدر المعيارية، وفي نهاية الأمر تظهر اليهودية الإنسانية، فاليهودية الإلحادية، فلاهوت موت الإله.

5. خاتمة

كانت هذه بعض النقاط والأفكار التي أبرزها عبد الوهاب المسيري في إيراد التشابه بين الفكر المابعد حدثي والفكر الديني اليهودي، والتي قد تبرز سبب اهتمام الإصلاحيين والمجددين اليهود باستخدام فلسفة مابعد الحداثة كالنموذج الأفضل لتفسير النصوص والسرديات اليهودية، فمن جهة لربما وجدوا كما رأينا بعضاً من أصولهم فيها، ولكن السبب الأهم والذي لا يقتصر على اليهودية وحدها هو أنّ فلسفة مابعد الحداثة تقبل بجمع المتناقضات وتعدد المراكز والقصص بدون محاولة التنسيق بينها أو البحث عن وحدة كلية تجمعها، وهذا مايريد المتدين المعاصر الغربي الذي يعاني من صدام مايقدمه له الدين من جهة ومايقدمه له العلم المعاصر من جهة أخرى وما يفرضه أسلوب الحياة الحديث في الجانب الاجتماعي والسلوكي الأخلاقي إلخ... وهنا تجعل مابعد الحداثة الإيمان بالتطور وقصة الخلق معاً ممكناً، وبكروية الأرض ومايقوله الكتاب المقدس عنها ممكناً، ويصبح كل مؤمن غير مضطر للدخول في نزاع وتبرير أفكاره وفق نسق واحد غير متناقض، ومن زاوية أخرى لا تقل أهمية، تعتبر السيولة ورقة أساسية في هذا السياق، فخاصية السيولة التي تقدمها مابعد الحداثة تساعد في إذابة الحدود والمفاهيم وإعادة تعريف الأسس وإدخال الصيرورة عليها، وهذا أهم جزء عند الحركات الإصلاحية الحديثة، فالثوابت الدينية تقف عائفاً

أمام التغيير الحر، فتذاب الحدود، فيعاد تعريف التوراة بأنها ليست النصوص التقليدية الموروثة بل كل التأملات الإنسانية والتجارب الروحية الذاتية، ويعاد تحديد مفهوم الإله ومفهوم الرسالة ومفهوم الدين، كل ذلك ليعطي مرونة وحرية أكبر للإنسان لاعتقاد ما يشاء بحيث لا يدخل في صدام مع مظاهر الحياة والمفاهيم المعاصرة التي تحكم بيئته ومجتمعه.

ساعد اعتكاف عبد الوهاب المسيري الطويل في دراسة الحداثة وما بعدها و في دراسته الفكر الديني اليهودي والصهيوني على تأهيله لكتابة مثل هذه المقارنة، وقد مررت بأفكار ربما لم يذكرها أحد غيره، وعقل المسيري التفكيكي المرن لم يكن معينا له وحسب بل لنا كقارئين أيضا حين رأينا كيف يربط الأفكار ببعضها فلا يمكنها أن تكون أكثر وضوحا، وتحليله لمعنى المابعدية والسياق التاريخي والفكري لظهور مابعد الحداثة هو خير مثال.

وعلى كل فلا أرى أنّ بعض تحليلات المسيري مرتبطة بل قد لا أرى شيئا يرجحها، كقوله مثلا أن اليهودي محكوم عليه أن يعيش في العتب لأن الإله يتحد به في البداية وفي النهاية فقط، وعليه لا يمكنه أن يعيش بين المرحلتين إلا في حالة لغياب اللوجوس وبالتالي هو وضع مابعدحدثي يغيب فيه المعنى، فتاريخ الجماعات اليهودية والنصوص الهوجية لا تعكس هذا الاستنتاج تماماً بل عكسه، وهذا لا يعني أنه لا يوجد خلل في معنى الإتحاد و السؤال الملح ماذا تعني حالة عدم الإتحاد، لكن ربما هذا سؤال لبحث آخر.

وقد تساءلت مترددا _خاصة أثناء قراءتي بعض العبارات في المقال التي كان يؤكد فيها المسيري مراراً وتكراراً على أصولية وتبذر الأفكار المابعدحدثية في الدين اليهودي_ عن السبب الذي دفع المسيري للربط بين الديانة اليهودية والمابعدحدثية في دراسة كاملة، هل كان ذلك بمثابة دراسة نموذجية كان فيها الدين اليهودي محل دراسة، أم لخاصية في الديانة اليهودية التي قد يكون منها بعض ما ذكر في المقال، والسبب الذي يدفعني للتساؤل في هذا المقال من جهتين أولاً من جهة الديانة اليهودية وثانياً من جهة الفكر المابعدحدثي.

من جهة الدين اليهودي أولاً، نعم قد نوافق أنّ هناك فراغات في الدين اليهودي وإشكاليات كتلك المتعلقة بالهوية والعقيدة، لكن يجب أن لا ننسى أنّ الفكر الديني حتى حين يكون مبنياً على الوحي المنزل، يظل فكراً إنسانياً والفكر الإنساني بحسب سنن التاريخ محكوم عليه بالاختلاف والنزاع، وربما ضياع بعض النصوص والثوابت أيضاً، فإن تمعنا في الديانة المسيحية نجد فيها نفس الإشكال، فمثلاً حين انتقل فهم النص من النص نفسه إلى رجال الكنيسة المتغيرين، والعصمة من الإله إلى البابوات المتغيرين ومظاهر أخرى عديدة، ولاننسى الاختلافات العقائدية التي لم تخلو منها ديانة، فلا يمكن أن نقول أن الديانة هذه تعبر في مجموع فرقها عن وضع مابعد حدثي، وجود فرق إسلامية تقدم العقل على النقل وأخرى تقوم بالعكس لا يعني أنّ الفكر الإسلامي مابعد حدثي لأنه يجمع المواقف المتناقضة، والذي يعتمد عليه المسيحي هنا هو كون تلك الفرق اليهودية لا تعادي أو لا ترفض بعضها، وهذا غير صحيح فأغلب هذه الفرق تعادي بعضها وكثير منها متطرف في المعادة، وحتى المثال الذي ذكره بين الفريسيين والصدوقيين غير دقيق فالفرقتين كان بينهما عداوة وتنافس كبيرين. و نجد في الديانة اليهودية بعض مظاهر الصلابة والثبوت أكثر من بعض الديانات الأخرى، فمثلاً نجد أن اليهود في القرن الخامس جمعوا نسخ التوراة كي يكتبوا منها توراة واحدة تصبح مرجعية توحد كل اليهود وهي نسخة الماسورة التي يقرأ منها كل اليهود اليوم، و المسيحيون على سبيل المثال لم يفعلوا ذلك مع العهد الجديد وإلى اليوم يعانون من كثرة النسخ واختلافها، ونجد في تمسك الأرثوذكس بالأحكام اليهودية التقليدية شيئاً من الصلابة بالرغم من شدتها وصعوبتها خاصة في العصر الحديث، ومع ذلك لا خلاف في أنّ هناك مظاهر مابعد حدثية موجودة في التراث اليهودي وهذا يأخذنا للنقطة الثانية.

وهي أنّ الفكر الحدثي يجد ذاته وفي رأيي ليس فكراً في أساسه بقدر ماهو غريزة إنسانية تنتج هذا الفكر، غريزة مذمومة، وأرى أنّ أكبر تجلٍ لقوله تعالى "أفأريت من اتخذ إلهه هواه" هو الفكر المابعد حدثي في صورته المعاصرة الأخيرة، فنجد آثار هذا الفكر الفوضوي منذ القديم، نجده واضحاً في الأساطير القديمة، في صراع النظام والفوضى، المعنى واللامعنى، الحياة والموت الأصم، لذلك فإنني أكاد أجزم وجوده في كل مرحلة من تاريخ الفكر الإنساني، وإن وجد عند بعض المفكرين المسلمين أو بعض الفرق الإسلامية أو

حتى جلها فلا يجعل ذلك الإسلام ديناً متجذراً أو مبنياً على ما بعد الحداثة، بل يجعل الجوهر المابعد حدثاً ظاهراً إنسانية فكرية ثقافية تتمظهر أينما ظهر الإنسان، بل أعتقد أن كثيراً من العلماء كانوا يحاربون السبيل ويعلمون خطورتها خاصة في ما يتعلق بالتفسير وماهية القرآن والصفات، ولذلك نجد بعضاً منهم حاول أن يغلق باب الاجتهاد والبعض حاول القول بأن القرآن قد فسر كاملاً من النبي صلى الله عليه وسلم، فهم سواء عن وعي منهم أو عن غير وعي حاولوا حماية المعنى والحفاظ على تماسك الفكر الديني، وهذا قبل ظهورها بهذا الشكل في الغرب بقرون.

لذلك أقول أن الديانات خاصة السماوية و تلك التي بنيت على قيم متجاوزة، هي في العادة مناقضة ومصادمة لما بعد الحداثة لكن تطور الديانة عبر الزمن، وتطور فكرها وتأثر رواده بتقلبات الجغرافيا والتاريخ وما يظهر من أحداث ويستجد من مستجدات، قد يفتح ثغرات على هذا الفكر، و يجعله يستسلم لقبول بعض العناصر الخارجة عنه والتي قد تكون ما بعد حدثية لأنها أكثر فلسفة تتوافق مع التغير والسيورة والشك والنقض، ثم قديضطر ذلك الفكر الديني فيما بعد محاولة التكيف معها، ومنه قد تتأثر بعض الديانات بشكل أكبر أو أقل بحسب البيئة المحيطة وتاريخها، وأيا كانت النتيجة فهذا لا ينفي الأصل الثابت والصلب للديانة وفكرها والذي يجب أن يكون أساس البحث، ولكن يبقى أيضاً تفكيك النتيجة أمر واجب لفهم المنتج النهائي وحركته في الفكر المعاصر وهذا ما حاول المسيري فعله في مختلف كتاباته.

5. قائمة المراجع:

1. المسيري، عبد الوهاب، من هو اليهودي، دار الشروق ، القاهرة.
10. سنوسي ، فضيلة ، التفسير الحلوي لمسألة الخلق في التصوف اليهودي، مجلة مقاربات فلسفية.
11. المسيري، عبد الوهاب ، اليهودية وما بعد الحداثة رؤية معرفية، الفكر الإسلامي المعاصر.
12. عبد الجليل، منقور، 2001، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق .

13. عامر ،أميرة فاروق فؤاد، 2017، اللوجوس في تاريخ الفكر الفلسفي يوناني_يهودي_مسيحي، سلسلة أبحاث المؤتمر السنوي الدولي.
14. الويسي، ياسين حسين، الكلمة واللوجوس في الفكر الفلسفي والديني، دار صفحات، دمشق.
- 2المسيري،عبد الوهاب، 1999، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق ، القاهرة.
- 3المسيري،عبد الوهاب، 1999، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة.
- 4 حمريط، رمة، الحداثة وما بعد الحداثة قراءة في كتاب المرايا المحدبة عبد العزيز حمودة.
- 5ابراهيمى، طاهر، 2019، ما بعد الحداثة منطلقاتها وتبدياتها قراءة في فكر عبدالوهاب المسيري، مجلة الدراسات الإسلامية .
- 6المسيري،عبد الوهاب ، التريكي،فتحي ، الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، دمشق ،بيروت.
- 7المسيري،عبد الوهاب ،1997، اليهودية وما بعد الحداثة رؤية معرفية الفكر الإسلامي المعاصر.
- 7.بن زين، حبيبة، 2021، ما بعد الحداثة من منظور نقدي عند المسيري -نقد المصطلح أنموذجا-، مجلة المعيار.
8. شاحك، إسرائيل ،الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت
9. شليبي،أحمد، اليهودية، دار النهضة المصرية، القاهرة.